الإسلام فى أفقه الأعلى حضارة

الإسلام والرمز

حين يختار الرسول الكريم، فى مرضه الأخير، أبا بكر ليؤم الناس فى الصلاة، فإنما هو رمز سيضاف إلى رأيه فيه، وموضعه منه، ونيابته عنه ولكنه لم يتجاوز الإيحاء إلى الإملاء والفرض بل يظل حق الناس الكامل فى الاختيار وقد استعمل هذا الحق الشرعى، الأنصار، عقب وفاة الرسول عليه السلام. وكاد الخلاف يحتدم فى سقيفة بنى ساعدة، لولا أن عمر رضى الله عنه حسم الموقف اذ تقدم لمبايعة أبى بكر فتبعه الناس.

وهى دلالة ومؤشر.

فالرسول عليه السلام نبى له مكانة عند الله ومكانته عند الناس وأبو بكر ثانى اثنين فى الغار وأول من أسلم من الرجال ولكن هذا كله لم **يحجب حق الناس فى الاختيار**.

والدلالة الأخرى أن الرسول عليه السلام، لم يضع فى هذا المكان الرمزى واحدا من عشيرته الأدنين أو أثيرا من الأقربين، لا تحمل (الخلافة) **معنى الحصر فى أسرة أو فئة**.

كان الرسول بهذا، يضع دستورا يقضى بأن يكون أمر المسلمين بينهم احتراما لارادتهم وإعلاء لمشيئتهم واستجابة دائمة لا تغيب للأية الكريمة (لست عليهم بمسيطر) والآية الكريمة (وأمرهم شورى بينهم).

يفعل هذا وهو النبى الرسول.

يفعل هذا وهو الذى قال فيه ربه (وما ينطق عن الهوى). يفعل هذا وقد اجتمعت قلوبهم على محبته، ورجاحته، وحكمته، ورسالته، وأفضليته.

وكلها دلالات ومؤشرات يقترن النجاح بها.

وحين أصبحت الخلافة ميراثا يأخذها «معاوية» غصبا ليزيد على ما فيه، توالت الأحداث فسقطت الدولة الأموية قبل تمام سنة (١٣٢ هـ).

وفى الدولة العباسية تحارب الأمين والمأمون وقتل المستنصر، أباه وسخر الشاعر البحترى من محاولة الإمساك بالجانى فقال:

(الموتور بالدم واتره).

رمز أن يقول الرسول الكريم (إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم واحدا).

رمز إلى أن الرياسة شكل تنظيمى وهو يعنى التنظيم لا الأمر. إنه عليه السلام يعنى بهذا أن الرياسة، اختيار نابع من إرادة الأمة، لا تعيين.

رمز، اسم الإسلام نفسه، فحين تنتسب الأديان قبله إلى أصحاب الدعوات فيها ينتسب الإسلام إلى الله وحده. وينتسب المسلمون إليه ... إنهم مسلمون لا محمديون.

اسم الدين الحنيف (الإسلام) رمز. من السلام الذى هو اسم من أسماء الله. وأسماء الله أكبر وأجل الأسماء. وهذا رمز إلى شموليته فهو دعوة تشمل الناس جميعا. ورسول عليه السلام يقول (بعثت إلى الناس كافة).

إنه دين الله إله الناس والأنبياء.

إنه إسلام أى تسليم سلامى لله (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى). لقمان ٢٢

غار حراء فى سيرة الرسول، رمز.

إن خلوده إلى غار حراء من أجل التفكير، فى الحقيقة، يعلمنا أهل العزلة للتصفية .. للقاء الذات .. لإعادة حساباتها .. لعلنا إن لم نصل إلى الحقيقة فلا أقل من أن نشارفها.

الحقيقة رؤية، كما كتبت مرة، عندما يتطلع إليها الإنسان يعطى عطاءه فالفنان يبدع الرائعة الفنية، والفيلسوف يضع النظام الفلسفى، والعالم يضع النظرية، والحقيقة ذاتها من الكثرة والوفرة بحيث تعبر الفلسفة والعلم والفن والقصة والمسرحية وسائر الألوان ثم يتبقى منها غزير لا يدركه الإدراك. وهناك ندرك قول «اينشتين» بأهمية الخيال .. فالخيال شوق إلى الحقيقة .. وبالطبع أقصد خيال الرؤى لا خيال التوهمات.

وقد انتشر الإسلام بإيقاظ النفس إلى الحقيقة .. إلى الجوهر.

(أينما تولوا فثم وجه الله).

فرؤية القرآن لله، رؤية محيطة فالإسلام يستحضر ملكوت الله فى داخل النفس وخارجها وماوراء المحسوس .. وحين تمثل الفن الإسلامى هذا المعنى، خرج خلاصة مقطرة للحيوية والحياة.

لماذا يركز الإسلام على العمل؟ إنه إيمان .. ونحن حين نتهم الشباب بقلة الانتاج، ننسى أن السبب أولا عدم الوعى الدينى وفن العمل .. العمل الذى يحبه صاحبه لا الذى يعين فيه .. إنه هنا فن توليد الحب.

الشهادة فى الإسلام رمز الإقرار. التوحيد رؤية رائعة.

إن التوحيد فى الإسلام، رمز رفيع ومنيع فحين جعل العبادة لله وحده، أطلق حرية الإنسان مادام لا إله الا الله .. فمم نخاف؟ إن التوحيد سر البطولة ولولا هذا لتهيبوا الإمبراطوريات ولخافوا الأباطرة.

الله أكبر هزمت الروم والفرس فى القديم.

والله أكبر هزمت إسرائيل وأعوانها فى الحديث.

التوحيد ذروة من الإدراك الوجدانى والذهنى فهو فى العلم إجماع وتوثيق وهو فى الصحة النفسية يعنى تكامل الشخصية وهو فى الوطن يعنى أن الكل فى واحد .. وهو عند الشعراء والفنانين يعنى وحدة العمل الفنى إن الوحدة علامة القيمة ولكننا بمواضعات عصرنا وواقع سلوكنا، بعيدون عن التوحيد .. كل منا له هوى وكل منا يتخذ إلهه، هواه وهى وثنية .. الجاه وثن، والمنصب وثن، والهوى وثن .. والشهرة وثن .. والتعصب وثن، ونحن نعيش فى هذه الأوثان على الرغم من الأديان حين يقول اندريه مالروا **إن المستقبل للدين.**

إن الإنسان الوافر هو الذى يمكنه أن يجمع فى تكامل ما تراه العين المزودة بالعلم من مدركات، وما يراه الفن المترع بالموهبة من جمال .. وما يراه الدين المنزل من السماء من قداسة وتبتل وكشف.

(ألم نشرح لك صدرك)

ليس بالسرور ولكن انفتاح القلب للحقيقة.

الصلاة فى الإسلام .. فى معناها الرفيع، خلوص .. خضوع .. تنقية للنفس.

تخجل معها من الفحشاء والمنكر لأن الصلاة الصحيحة تنهى عنها.

ومن الخلوص فى الصلاة، الاستغراق الكامل .. كم مصليا الآن يقف على عتبة هذا الاستغراق؟

ليس من الصلاة إذاً الجهر والصياح والتظاهر بالتقوى رئاء الناس واشتهاء المدح كما كان يحدث.

الصلاة صلة بين الله والإنسان وهى فى الإسلام تطهير للذات وانفتاح بها للنور .. رفع اليدين فى الصلاة استشراف إلى العالى .. إلى السامى فى عطية مجاهدة وخلوص وهذا يفسر الآية الكريمة (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لماذا؟ بفضل هذا النور.

قولنا فى الركوع (سبحان ربى العظيم) رمز يفسره قولنا فى السجود (سبحان ربى الأعلى) لأننا في السجود يتواضع الإنسان لله حتى يصير (الأدنى) للأعلى. سجود القلب حين يتجرد من الصلف لا وضع الجبهة على الأرض.

الوضوء فى الإسلام رمز .. إنه تطهير للحواس كلها مما تكون قد أتته من مشاهدة الباطل أو قول الزور أو من المحرم .. غسل للنفس كلها قبل الوجه أو اليدين أو المرفقين.

إنه وضاءة روح

كثيرون يشتغلون (بنقض الوضوء) مع أن هذه المشكلة الخطيرة يحلها كوب من الماء وإلا لماذا يغنى التيمم عن الوضوء أحياناً؟ إن المسألة الاستعداد النفسى.

الزكاة فى الإسلام، رمز .. فالتكافل الاجتماعى حق معلوم وبهذا يحفظ الإسلام كرامة الفقير .. إن رعايته أحد الأركان الخمسة التى بنى عليها.

إن الصوم فى الإسلام، رمز فهموم الدنيا تتلخص فى:

- الانشغال بالطعام والشراب.
- الحرب أو رد الإيذاء.
- صغائر الحواس الخمسة.

والصيام الحق، ارتفاع فوق هذا كله وهو معنى أكبر كثيرا من الجوع والعطش. إنه وحدة واتفاق .. إنه نظام وانتظام .. إنه التقاء ومحبة يجمعها سلوكيات رمضان.

الحج فى الإسلام رمز

الإحرام: تجرد من التباهى بنفاسة الثياب.

رمى الجمرات رمز إلى رغبة النفس فى طرح الشر والانصراف عن وسوسة كل أمار بالسوء.

تقبيل الحجر الأسود تحية وحب عبر عنه العظيم عمر بن الخطاب حين قال (والله إنى لأعلم أنك حجر لا يضر ولا ينفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك).

التكبير رمز: إن أعظم كلمة فى الإسلام كما يقول الدكتور كامل حسين كلمة (الله أكبر) فحين يغتر إنسان بقوته أو ماله أو سلطانه فالله أكبر. يقولها المسلم فى الحرب فتعينه على العدو .. ويقولها المسلم فتعينه على الصعاب فيقتحم العقبة.

رمز من رموز الإسلام حين يقول المولى عز وجل عن القرآن الكريم:

(لا يمسه إلا المطهرون) المقصود ليس اللمس ولكن اللمسة التى تشعل الروح، وتسعد القلب، وتفتح للنفس آفاقا بعادا .. وهذه اللمسة لا تتحقق إلا بالصفاء فينكشف لصاحبها المكنون فإذا به قد أبصر بعد أن رأى وما أبعد الفرق بين النظر والبصر.

رمز، قول الله سبحانه وتعالى لموسى (فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى)[1] إنها دعوة إلى نظافة الروح والبدن حتى يستطيع المرء أن يقترب من الرحبات العليا.

رمز، قول الله جل شأنه (ولهم آذان لا يسمعون بها) إذن السمع ليس الجهاز السمعى ولكن النفاذ إلى دبيب الصمت .. كما أن النظر دون البصر أى البصيرة وهى رؤية ثاقبة وذلك فى الآية قبلها (ولهم أعين لا يبصرون بها).

رمز، الأوصاف المادية للجنة فى القرآن الكريم .. تفسير .. فالنخل والرمان وكأس كان مزاجها كافورا لتقريب الصورة للبسطاء بدليل قوله تعالى: (فواكه وهم مكرمون) أى غير محتاجين لحفظ الجسم أو إشباع جوع بل هو تكريم وتنعيم .. حتى الزواج فيه رفقة علوية (أزواج مطهرة) وزوجات (قاصرات الطرف عين).

حتى ليقول ابن عباس وهو من أصوب المفسرين رأيا بين صحابة النبى عليه السلام (ليس فى الدنيا من الجنة شئ إلا الأسماء).

الصفات المادية للجنة، رمز، لأنه سبحانه وتعالى عندما وصف الجنة بأكرم وأجمل وأطيب الصفات، قال فى النهاية: (ورضوان من الله أكبر).

إن الرمز قوة من قوى الإسلام يزيد النفس، به، تعلقا، حين يفتح لها آفاقا بعيدة المدى بعيدة الرؤى .. تنتعها من الحضيض إلى ذروة، وترفعها من الوهاد إلى قمة.

---

(١) الآية الكريمة ك ١٢ طه ٢٠.